

مُتَبَرِّرُونَ بِالْإِيمَانِ وَحْدَهُ
المحاضرة ٧: رِسَالَةُ بُولُسَ إِلَى أَهْلِ رُومِيَّةَ
أر. سي. سبرول

كُنَّا نَتَمَعَّنُ فِي عَقِيدَةِ التَّبَرِيرِ بِالْإِيمَانِ وَحْدَهُ، وَنَظَرْنَا إِلَيْهَا مِنْ مَنْظُورٍ تَارِيخِيٍّ وَمِنْ مَنْظُورٍ عَقَائِدِيٍّ لَاهُوتِيٍّ. نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْعَقِيدَةَ الَّتِي صَاغَتْهَا الْكَنِيسَةُ مَصَدَرُهَا بِكُلِّ تَأَكِيدِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ نَفْسُهُ، وَبِالطَّبَعِ عَقِيدَةُ التَّبَرِيرِ بِالْإِيمَانِ هِيَ الْعَقِيدَةُ الَّتِي اسْتَفَاضَ فِيهَا الرَّسُولُ بُولُسُ بِلا كَلِّ أَوْ مَلِكٍ فِي رَسَائِلِهِ، وَلَكِنَّ أَدَقَّ تَنَاقُلٍ لِلْعَقِيدَةِ وَالْأَكْثَرُ شُمُولًا يُوجَدُ فِي أَعْظَمِ كِتَابَاتِهِ وَأَعْمَالِهِ اللَّاهُوتِيَّةِ، فِي رِسَالَةِ رُومِيَّةِ. وَلِذَا سَنَتَنَاوَلُ لِبَعْضِ الْوَقْتِ الْيَوْمَ بَعْضَ الْمَقَاطِعِ الْأَكْثَرِ بَرِيقًا الَّتِي قَدَّمَهَا لَنَا بُولُسُ فِي رِسَالَتِهِ.

فِي بَدَايَةِ الْأَصْحَاحِ الْأَوَّلِ لِرِسَالَةِ رُومِيَّةِ، أَفْرَدَ فِكْرَةَ دَيْنُونَةِ اللَّهِ الشَّامِلَةَ عَلَى الْبَشَرِيَّةِ السَّاقِطَةِ الَّتِي تَحْجِزُ حَقَّ الْإِعْلَانِ الْإِلَهِيِّ الَّذِي أَعْلَنَهُ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ، ثُمَّ شَرَحَ كَيْفَ شَمَلَتْ نَتَائِجُ الْخَطِيئَةِ جَمِيعَ الْبَشَرِ عَلَى مَدَارِ التَّارِيخِ، كَلَّا مِنْ الْيَهُودِ وَالْيُونَانِيِّينَ. وَيُحْضِرُ الْعَالَمَ بِرُمَّتِهِ أَمَامَ مِقْيَاسِ عَدْلِ اللَّهِ بِاسْتِنْتَاجِ يَقُولُ "إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَاوُا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ" وَإِنَّا بِلا عُدْرِ.

وَبَيْنَمَا يُشْرَحُ طَبِيعَةَ شَرِّ الْإِنْسَانِ وَإِثْمِهِ، يَعُودُ إِلَى الْعَهْدِ الْقَدِيمِ لِلْمَزْمُورِ الَّذِي يَبْدَأُ: "أَنَّهُ لَيْسَ بَارٌّ وَلَا وَاحِدٌ. لَيْسَ مَنْ يَفْهَمُ..." الْمَقْطَعِ الَّذِي تَعْرِفُونَهُ، وَعِنْدَمَا يَنْتَهِي مِنْ هَذَا الْاِقْتِبَاسِ، يَقُولُ فِي الْآيَةِ التَّاسِعَةِ عَشْرَةَ مِنَ الْأَصْحَاحِ الثَّالِثِ، "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا يَقُولُهُ التَّامُوسُ فَهُوَ يُكَلِّمُ بِهِ الَّذِينَ فِي التَّامُوسِ، لِكَيْ يَسْتَدَّ كُلُّ فِيمَ، وَيَصِيرَ كُلُّ الْعَالَمِ تَحْتَ قِصَاصِ مَنْ اللَّهِ". لِذَا فَهُوَ يُحْضِرُنَا أَمَامَ كُرْسِيِّ دَيْنُونَةِ اللَّهِ، وَيَسْتَعْدِمُ اسْتِعَارَةَ أَنْسَادِ كُلِّ فِيمَ. بِالطَّبَعِ مَا يَعْنِيهِ هُوَ أَنَّهُ عِنْدَمَا تَتَقَدَّمُ أَمَامَ كُرْسِيِّ دَيْنُونَةِ اللَّهِ وَتَظْهَرُ أَمَامَ قَدَاسَتِهِ، سَيَكُونُ الْمَيْلُ الْبَشَرِيُّ الطَّبِيعِيُّ هُوَ التَّفَوُّهُ بِكُلِّ عُدْرِ مُمَكِّنٍ لِتَبَرِيرِ عِضْيَانِنَا وَتَعَدِّيْنَا. لَكِنَّ عِنْدَمَا نُحْضِرُ أَمَامَ اللَّهِ، سَيَتَضَحُّ لِلْعَايَةِ لِكُلِّ مَنْ يَقِفُ أَمَامَهُ أَنَّهَا سَتَعُدُّ مُحَاوَلَةً غَيْرَ مُجْدِيَّةٍ لِتَقْدِيمِ الْأَعْدَارِ أَوْ لِتَبَرِيرِ عِضْيَانِنَا لِلَّهِ. لِذَا سَنَصْمُتُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الدَيْنُونَةِ، وَلَنْ نَسْتَطِيعَ التَّفَوُّهُ بِكَلِمَةِ أَمَامِ اللَّهِ لِأَنَّ عَدْلَهُ وَأَحْكَامَهُ وَاضِحَانِ وَضُوحِ الشَّمْسِ.

لَكِنَّ بُولُسَ بَعْدَ ذَلِكَ يُوَصِّلُ فَيَقُولُ: "لِأَنَّهُ بِأَعْمَالِ التَّامُوسِ كُلِّ ذِي جَسَدٍ لَا يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ. لِأَنَّ بِالْتَّامُوسِ مَعْرِفَةَ الْخَطِيئَةِ". فَهَذَا التَّصْرِيحُ الْمَوْجُزُ فِي غَايَةِ الْأَهْمِيَّةِ لِفَهْمِ عَقِيدَةِ التَّبَرِيرِ، وَيَعُدُّ تَصْرِيحًا خَاصًّا أَعْلَنَهُ الرَّسُولُ الَّذِي كَانَ مُحَلًّا لِلْكَثِيرِ مِنَ النِّقَاشَاتِ وَالتَّسْأُولَاتِ فِي تَارِيخِ اللَّاهُوتِ. إِذْ قَدْ بَدَأَ بِقَوْلِهِ: "لِأَنَّهُ بِأَعْمَالِ التَّامُوسِ كُلِّ ذِي جَسَدٍ لَا يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ". فَالسُّؤَالُ الْأَوَّلُ: إِي لِمَ يَرْمِي فِي إِشَارَتِهِ إِلَى "أَعْمَالِ التَّامُوسِ"؟ قَالَ الْبَعْضُ إِنَّ هَذَا مَقْطَعٌ مُحَدَّدٌ لَا يُشِيرُ سِوَى إِلَى الْفَرَائِضِ الطَّقْسِيَّةِ لِتَّامُوسِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَأَنَّ مَا يَقْصِدُهُ الرَّسُولُ هُنَا أَنَّهُ لَا أَحَدٌ يَتَبَرَّرُ بِتَّأْدِيَةِ جَمِيعِ

الْفَرَايِضِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا اللَّهُ كَمَا أَمَرَ الْيَهُودَ، مُرُورًا بِنِظَامِ الدَّبَائِحِ وَجَمِيعِ الطُّقُوسِ الدِّينِيَّةِ الْمُرْتَبِطَةِ بِحَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ وَلاَحِقًا بِالْهَيْكَلِ. بِعِبَارَةٍ أُخْرَى، يَقُولُ إِنَّهُ لَمْ يَتَبَرَّرْ أَيُّ إِنْسَانٍ بِاتِّبَاعِ الطُّقُوسِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا النَّامُوسُ. وَمَرَّةً أُخْرَى، هَذَا تَطْبِيقٌ يُحَدِّدُ النَّصَّ لِلْغَايَةِ.

بَيْنَمَا الْعَالِيَّةُ الْعُظْمَى مِنَ الْمُفَسِّرِينَ يَقُولُونَ: "لا، بُولُسُ لَمْ يَتَوَقَّفْ عِنْدَ آدَاءِ الطُّقُوسِ فَحَسْبُ، بَلْ يَشْمَلُ كُلُّ مَا يَأْمُرُ بِهِ النَّامُوسُ بِمَا فِي ذَلِكَ النَّامُوسِ الْأَخْلَاقِي الَّذِي تَفْرِضُهُ شَرِيعَةُ اللَّهِ عَلَى مَخْلُوقَاتِهِ"، فَلِذَا يَقُولُ بِطَاعَةِ نَامُوسِ اللَّهِ، دِينِيًّا وَطَقْسِيًّا وَكَذَلِكَ أَخْلَاقِيًّا، أَيُّ بِحِفْظِهِ، لَنْ يَتَبَرَّرَ أَيُّ إِنْسَانٍ أَبَدًا. فَبِهَذَا الْمَعْنَى، فَإِنَّ أَيَّ عَمَلٍ صَالِحٍ نَقُومُ بِهِ مُسْتَبَعِدٌ مِنْ أَسْبَابِ التَّبَرِيرِ.

إِنَّمَا آخَرُونَ حَدَّدُوا هَذَا الْمُقْطَعِ، ثَانِيَةً، لِيَقُولُوا مَا مِنْ أَعْمَالٍ لِلطَّاعَةِ قَبْلَ التَّجْدِيدِ سَتُضَافُ إِلَى تَبَرِيرِنَا؛ لَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَكِنَّ مَا نَفَعَلَهُ بَعْدَ مِيلَادِنَا الثَّانِي سَيَعُدُّ أَسَاسَ تَبَرِيرِنَا. فَبِذَلِكَ تَعُودُ الْأَعْمَالُ إِلَى الْمَشْهَدِ مَرَّةً أُخْرَى هُنَا كَأَسَاسٍ لِلتَّبَرِيرِ. وَمَرَّةً أُخْرَى، هَذَا جُزْءٌ مِنَ الْجِدَالِ بَيْنَ الْكَاثُولِيكِيَّةِ وَالْبُرُوتِسْتَانْتِيَّةِ لِأَنَّ وَجْهَةَ النَّظَرِ الْبُرُوتِسْتَانْتِيَّةِ تَأْخُذُ هَذَا عَلَى أَنَّهُ يَعْنِي أَنَّهُ مَا مِنْ أَعْمَالٍ فِي أَيِّ وَقْتٍ تُعَدُّ أَسَاسَ تَبَرِيرِنَا. حَتَّى الْأَعْمَالُ الَّتِي نَقُومُ بِهَا بَعْدَ الْإِيمَانِ وَتَبِيلِ النِّعْمَةِ، الَّتِي قَدْ يُظَنُّ أَنَّهَا تُسَهِّمُ فِي مُكَافَأَتِنَا بِالْمَلَكُوتِ لَيْسَتْ أَبَدًا جُزْءًا مِنْ أُسُسِ تَبَرِيرِنَا.

اسْمَحُوا لِي فَقَطْ أَنْ أَقُولَ هَذَا، مَرَّةً أُخْرَى عِنْدَمَا يَتَحَدَّثُ بُولُسُ عَنِ التَّبَرِيرِ، فَهُوَ لَا يَتَحَدَّثُ بِبَسَاطَةٍ عَنِ الْغُفْرَانِ الْإِلَهِيِّ. إِذْ هُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ الْمَغْفِرَةِ وَالتَّبَرِيرِ. يَتِمُّ الْغُفْرَانُ لِإِنْسَانٍ قَدْ سَبَقَ الْإِعْلَانُ عَنْ إِدَانَتِهِ بِاقْتِرَافِ الذَّنْبِ. وَعَقِبَ الْإِدَانَةِ، يَجُوزُ لِلْقَاضِي أَوْ الرَّئِيسِ اسْتِخْدَامَ امْتِيَاذِهِمُ التَّنْفِيزِيِّ بِمَنْحِ الْعَفْوِ لِيُغْفَرَ لَهُؤُلَاءِ الْأَشْخَاصِ، أَيُّ لِيُغْفِرَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ الْمُرْتَبَّةِ عَلَى ذَنبِهِمْ. بَيْنَمَا التَّبَرِيرُ لَيْسَ مُجَرَّدَ غُفْرَانٍ. مَعَ أَنَّ جُزْءًا مِنَ التَّبَرِيرِ يَنْطَوِي عَلَى غُفْرَانِ الْخَطَايَا، لَكِنَّ جَوْهَرَ التَّبَرِيرِ هُوَ الْإِعْلَانُ بِأَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ بَارٌّ. لِذَلِكَ، مِنْ جَانِبٍ، لَا يَتَعَيَّنُ عَلَيْكَ الْعَفْوُ عَنْ إِنْسَانٍ قَدْ أُعْلِنَ أَنَّهُ بَارٌّ. إِنَّ الْأَبْرَارَ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الْعَفْوِ، وَبِالتَّالِي فَإِنَّ هَدَفَ التَّبَرِيرِ يَتَجَاوَزُ غُفْرَانَ الْخَطَايَا الَّتِي لَنَا فِي الصَّلِيبِ وَبَقِيَّةِ الْأُمُورِ إِلَى إِعْلَانِ اللَّهِ أَنَّنَا نَحْنُ الَّذِينَ فِي الْمَسِيحِ وَلَدَيْنَا الْإِيمَانُ مُحَسَّبُ أَبْرَارًا أَمَامَهُ.

لِهَذَا طَوَالَ الْوَقْتِ نَقُولُ إِنَّ احْتِسَابَ بَرِّ شَخْصٍ آخَرَ، بَرِّ الرَّبِّ يَسُوعَ يُعَدُّ الْمَطْلَبَ الْأَسَاسِيَّ وَالضَّرُورِيَّ لِتُدْرِكَ عَمَلِ التَّبَرِيرِ هَذَا. إِذْ يُعْلِنُنَا اللَّهُ أَبْرَارًا بِمُجَرَّدِ احْتِسَابِهِ بَرِّ الْمَسِيحِ لَنَا. لِذَلِكَ يُتَابِعُ بُولُسُ قَوْلَهُ فِي الْآيَةِ الْحَادِيَةِ وَالْعِشْرِينَ: "وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بَرُّ اللَّهِ بِدُونِ النَّامُوسِ، مَشْهُودًا لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالْأَنْبِيَاءِ بِرُّ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِيسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ". مَرَّةً أُخْرَى، نَحْنُ هُنَا نَتَحَدَّثُ عَنْ بَرِّ اللَّهِ، لَيْسَ الْبَرِّ الَّذِي بِهِ وَفِيهِ يَكُونُ بَارًّا، بَلْ ذَلِكَ الْبَرِّ الَّذِي يَهْبُهُ لِأَوْلِيَاكَ الَّذِينَ يَفْتَقِرُونَ إِلَى الْبَرِّ، بَرِّ اللَّهِ الَّذِي يُوَهِّبُ بِالْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ.

ثُمَّ يَحْتَمِ هَذَا الْمُقْطَعُ بِقَوْلِهِ: "إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ، مُتَّبَرِّينَ مَجَانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللَّهُ كَفَّارَةً بِالْإِيمَانِ بِدَمِهِ، لِإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللَّهِ، لِإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبَرَّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الْإِيمَانِ بِيَسُوعَ". لَطَالَمَا أُكْرِرُ أَنَّ شِعَارَ "التَّبَرُّيرِ بِالْإِيمَانِ وَحْدَهُ" يَعْنِي فِي الْحَقِيقَةِ "التَّبَرُّيرِ بِالْمَسِيحِ وَحْدَهُ". يَتَحَقَّقُ بِعَمَلِهِ الْكَامِلِ. فَعِنْدَمَا نُنْظُرُ إِلَى عَمَلِ الْمَسِيحِ الَّذِي هُوَ الْأَسَاسُ وَالْأَسْسُ، أَوْ عِلَّةُ الْاسْتِحْقَاقِ لِتَبَرُّيرِنَا، فَنَحْنُ نُفَرِّقُ بَيْنَ طَاعَتِهِ الْبَازِلَةِ وَطَاعَتِهِ الْفَاعِلَةِ.

الطَّاعَةُ الْبَازِلَةُ تُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ بَدَلَ نَفْسِهِ بِإِرَادَتِهِ لِطَاعَةِ الدَّعْوَةِ الَّتِي سَلَّمَهَا لَهُ الْآبُ لِيَمُوتَ عَنِ خَطَايَانَا. فَيَرْصَخُ وَيَسْمَحُ لِذَاتِهِ أَنْ تُبَدَلَ مِنْ أَجْلِنَا، وَفِي عَمَلِ الْفِدَاءِ الَّذِي يُشِيرُ إِلَيْهِ بُولْسُ هُنَا، يَتَحَقَّقُ أَمْرَانِ: الْاسْتِرْضَاءُ وَالْكَفَّارَةُ. أَحْيَانًا يَجِدُ الْبَشَرُ صُعُوبَةً فِي تَذَكُّرِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْاسْتِرْضَاءِ وَالْكَفَّارَةِ. أُحِبُّ الْاسْتِعَانَةَ بِتَشْبِيهِ الصَّلِيبِ نَفْسِهِ لِأَنَّ الصَّلِيبَ بِتَضَمُّيمِهِ وَشَكْلِهِ يَحْمِلُ عَمُودًا رَاسِيًّا وَآخَرَ أَفْقِيًّا، مِمَّا يَمْنَحُنَا شَكْلَ الصَّلِيبِ. وَأَوْدُ التَّمَعُّنُ فِي الْأَمْرِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، فِي الصَّلِيبِ نَرَى تَقَاطُعًا رَاسِيًّا. هَذَا هُوَ الْاسْتِرْضَاءُ. عِنْدَمَا حَمَلَ الْابْنُ، عِنْدَمَا حَمَلَ الْمَسِيحُ خَطَايَا شَعْبِهِ، قَدِ اسْتَوْفَى مَطَالِبَ بَرِّ اللَّهِ نِيَابَةً عَنْهُمْ. دَفَعَ عُقُوبَتَهُمْ فَقَدِ اسْتَوْفَى مَا كَانَ يَطْلُبُهُ نَامُوسُ اللَّهِ بِتَقْدِيمِهِ لِلذَّبِيحَةِ الْكَامِلَةِ. هَذَا هُوَ جَوْهَرُ طَاعَتِهِ الْفَاعِلَةِ. لَكِنَّ فِي الْوَقْتِ عَيْنِهِ الَّذِي يُحَقِّقُ فِيهِ هَذَا الْاسْتِرْضَاءَ، فَإِنَّهُ يُتَمَّمُ عَمَلُ الْكَفَّارَةِ أَيْضًا. تَبَدُّأً كَلِمَةُ "كَفَّارَةٌ" بِالْبَادِيَةِ ex- الَّتِي تَعْنِي "بَعِيدًا عَنْ أَوْ خَارِجًا مِنْ"، فَالْكَفَّارَةُ تُشِيرُ إِلَى الرَّبِّ يَسُوعَ لَيْسَ فَقَطْ إِلَى تَسْدِيدِ ثَمَنِ خَطَايَانَا بِالْاسْتِرْضَاءِ، بَلْ إِلَى مَحْوِ خَطَايَانَا وَإِبْعَادِهَا عَنَّا كَبُعْدِ الْمَشْرِقِ عَنِ الْمَغْرِبِ. هَذَا مَا تُشِيرُ إِلَيْهِ الْكَفَّارَةُ.

كُلُّ هَذَا عَبَّرَ عَنْهُ فِي نِظَامِ ذَبَائِحِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ. فِي يَوْمِ الْكَفَّارَةِ، سُكِبَ دَمُ تَيْسِ الذَّبِيحَةِ عَلَى غِطَاءِ تَابُوتِ الْعَهْدِ، وَكَانَ غِطَاءً، تَعْبِيرًا عَنِ الْمُصَالِحَةِ لِاسْتِيفَاءِ عَدَالَةِ اللَّهِ. فِي حِينِ يُسْتَخْدَمُ تَيْسٌ آخَرُ، كَمَا تَتَدَكَّرُونَ، تَيْسُ عَزَارِيلَ إِذْ يَضَعُ الْكَاهِنُ يَدَيْهِ عَلَى ظَهْرِهِ ثُمَّ يُطْلِقُهُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ. إِنَّ هَذَا التَّرْمِيزَ يَوْضَعُ الْأَيْدِي يُشِيرُ إِلَى نَقْلِ خَطِيئَةِ الشَّعْبِ أَوْ احْتِسَابِ خَطِيئَةِ الشَّعْبِ عَلَى ظَهْرِ تَيْسِ عَزَارِيلَ. ثُمَّ يُطْلَقُ تَيْسُ عَزَارِيلَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ لِلْسَبَبِ التَّالِي؛ إِذْ إِنَّ الْبَرِّيَّةَ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ. حَيْثُ الظُّلْمَةُ الْخَارِجِيَّةُ. إِنَّهُ الْمَكَانُ الْبَعِيدُ عَنِ ظِلِّ حُضُورِ اللَّهِ الْفِدَائِيِّ الْمُرْتَبِطِ بِحُضُورِهِ وَسَطِ شَعْبِهِ. وَكَذَا هُوَ الْحَالُ فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، دُبِجَ الْمَسِيحُ خَارِجَ مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ، فَقَدِ تَمَّ تَسْلِيمُهُ إِلَى الْأَمَمِ، وَتَمَّ كُلُّ رُمُوزِ تَيْسِ عَزَارِيلَ إِذْ وُضِعَتْ خَطَايَا الشَّعْبِ عَلَيْهِ، وَمِنْ نَاحِيَةِ مَا فِي الصَّلِيبِ، تُرِكَ وَلُغِنَ، وَأُطْلِقَ إِلَى الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ خَارِجَ الْمَحَلَّةِ كَمَا كَانَ يُطْلَقُ تَيْسُ عَزَارِيلَ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ.

وَهَكَذَا نَجِدُ طَاعَةَ الْمَسِيحِ الْبَازِلَةَ فِي اسْتِرْضَائِهِ وَكَفَّارَتِهِ، إِذْ يَكُونُ الصَّحِيحَةَ إِنْ جَارَ التَّعْبِيرُ. وَلَكِنَّ هُنَاكَ طَاعَةَ الْمَسِيحِ الْفَاعِلَةَ. وَهِيَ صُرُورِيَّةٌ لِلْعَايَةِ فِي تَعَالِيمِ بُولْسِ هُنَا عَنِ التَّبَرُّيرِ. تُشِيرُ طَاعَةُ الْمَسِيحِ الْفَاعِلَةَ إِلَى حَيَاتِهِ

الكاملة تَحْتِ التَّامُوسِ حَيْثُ سَقَطَ آدَمُ الْقَدِيمُ بِالْعُضَيَّانِ، وَبِعُضَيَّانِهِ وَضَعْنَا لِلْهَلَاكِ. لَكِنْ بِطَاعَةِ آدَمِ الْجَدِيدِ، نَتَّالُ بَرًّا حَقِيقِيًّا. بَرًّا تَحَقَّقَ بِحَيَاتِهِ. كَمَا تَرَوْنَ، إِذَا كَانَ كُلُّ مَا كَانَ عَلَى الرَّبِّ يَسُوعَ فَعَلَهُ هُوَ دَفْعُ ثَمَنِ خَطَايَانَا، لَكَانَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْعَظِيمَةِ وَيَذْهَبَ مُبَاشَرَةً إِلَى الصَّلِيبِ وَيُنْهِيَ الْأَمْرَ. لَكِنَّ الْأَمْرَ كَانَ أَعْظَمَ مِنْ ذَلِكَ. كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَعِيشَ حَيَاةَ طَاعَةٍ كَامِلَةٍ حَتَّى يَسْتَطِيعَ نَقْلَ اسْتِحْقَاقِهِ إِلَيْنَا الْآنَ. وَهَكَذَا فِي حَالَتِهِ، أَخْضَعَ نَفْسَهُ لِتَامُوسِ اللَّهِ، وَكَانَ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ أَنْ يَفْعَلَ مَشِيئَةَ الْآبِ، وَإِذَا عَاشَ بِإِلَاحِطَةٍ.

لِذَا تَبَرَّرْنَا مِنْ بَرِّهِ. لَقَدْ نُفِلَتْ خَطِيئَتُنَا إِلَيْهِ عَلَى الصَّلِيبِ. وَنُقِلَ بَرُّهُ إِلَيْنَا بِالْإِيمَانِ، وَيُكْمَلُ بُولُسُ قَائِلًا إِنَّ ذَلِكَ يُشِيرُ إِلَى أَنَّ هَذَا قَدْ أَرْضَى اللَّهُ، وَالِدَلِيلُ هُوَ الْقِيَامَةُ. أَخْبَرَنَا بُولُسُ الرَّسُولُ أَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ قَامَ مِنْ أَجْلِ تَبَرُّرِنَا، مِمَّا يَعْنِي أَنَّ الدَّبِيحَةَ الَّتِي قَدَّمَهَا بِطَاعَتِهِ الْبَادِلَةِ، وَالْاسْتِحْقَاقِ الَّذِي اكْتَسَبَهُ بِطَاعَتِهِ الْفَاعِلَةِ، أَرْضَى اللَّهُ الْآبِ، فَلِذَا أَقَامَهُ الْآبُ مِنْ بَيْنِ الْأَمْوَاتِ لِيُنْبِتَ أَنَّ عَمَلَ الْفِدَاءِ حَلَّ الْمَشْكِكَةَ فِعْلًا، إِنَّ جَزَاةَ التَّعْبِيرِ، وَجَلَبَ لَنَا الْمُصَالِحَةَ.

سَيَقُولُ الْبَعْضُ: "لِمَاذَا نَحْوُضُ فِي كُلِّ هَذَا؟ لِمَاذَا لَا يَسْكُبُ اللَّهُ رَحْمَتَهُ وَنِعْمَتَهُ بِبَسَاطَةٍ وَيَعْفِرُ لِلْخُطَاةِ؟ وَلِمَاذَا يَقْتُلُ ابْنَهُ وَيَفْعَلُ كُلَّ هَذَا؟" الَّذِي يَدْعُوهُ الْبَعْضُ "إِسَاءَةً مُعَامَلَةً أَبْنَاءِ كَوْنِيَّةٍ"، وَمَا عَلَى شَاكِلَتِهَا. ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ بَارٌّ لَنْ يُسَاوِمَ أَبَدًا عَلَى بَرِّهِ. لَنْ يُسَاوِمَ عَلَى عَدْلِهِ كَيْ يَضْمَنَ لَكُمْ بَرَّكُمْ. يَقُولُ بُولُسُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَصْحَاحِ ذَاتِهِ: "إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ، مُتَبَرِّرِينَ مَجَانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللَّهُ كَقَارَةَ بِالْإِيمَانِ بِدَمِهِ، لِإِظْهَارِ بَرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللَّهِ"، إِلَى آخِرِ النَّصِّ، فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُظْهِرَ أَنَّ الْبَارَّ وَالْمُبَرَّرَ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ بِالرَّبِّ يَسُوعَ. فَبِحَلَاصِ اللَّهِ لَنَا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ، فَهُوَ يُبْقِي عَلَى بَرِّهِ. وَبُقِي عَلَى عَدْلِهِ. فَلَا يُسَاوِمُ عَلَى عَدْلِهِ، لَكِنَّهُ يُوقِعُ هَذَا الْعَدْلَ عَلَى شَخْصٍ آخَرَ بِاحْتِسَابِ خَطِيئَتِنَا عَلَيْهِ وَاحْتِسَابِ بَرِّهِ لَنَا. فَهُوَ يُجْرِي عَدْلَهُ، وَنَحْنُ الْفُجَّارُ نُصِيحُ الْآنَ أُنْبَرًا.

ثُمَّ يُكْمَلُ بُولُسُ قَائِلًا: "فَأَيُّ الْاِفْتِخَارِ؟ قَدْ انْتَفَى". قَدْ انْتَفَى. مَا مِنْ مَجَالٍ لِلاِفْتِخَارِ "أَبْنَامُوسِ الْأَعْمَالِ؟ كَلَّا. بَلْ بِنَامُوسِ الْإِيمَانِ. إِذَا نَحْسَبُ"، هَذَا هُوَ الْاِسْتِنْتَاجُ، "أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالْإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ التَّامُوسِ". ثُمَّ يُوَاصِلُ كَلَامَهُ فِي الْأَصْحَاحِ ٤: "فَمَاذَا نَقُولُ إِذَا أَبَانَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ وَجَدَ حَسَبَ الْجَسَدِ؟ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ تَبَرَّرَ بِالْأَعْمَالِ فَلَهُ فَخْرٌ، وَلَكِنْ لَيْسَ لَدَى اللَّهِ. لِأَنَّهُ مَاذَا يَقُولُ الْكِتَابُ؟ "فَأَمَّنْ إِبْرَاهِيمُ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بَرًّا". أَمَّا الَّذِي يَعْمَلُ فَلَا تُحْسَبُ لَهُ الْأَجْرَةُ عَلَى سَبِيلِ نِعْمَةٍ، بَلْ عَلَى سَبِيلِ دَيْنٍ".

لِإثْبَاتِ حُجَّتِهِ بِأَنَّ التَّبَرُّرَ بِالْإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ التَّامُوسِ، كَانَ مِثَالُهُ أَوْ دَلِيلُهُ الْأَوَّلُ هُوَ إِبْرَاهِيمُ. فَيَعُودُ إِلَى الْأَصْحَاحِ الْخَامِسِ عَشَرَ مِنْ سِفْرِ التَّكْوِينِ الَّذِي فِيهِ يَسْمَعُ إِبْرَاهِيمُ وَعَدَّ اللَّهُ وَيُؤْمِنُ بِهِ. وَيَايْمَانِهِ بِهِ، يَقُولُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ آمَنَ بِاللَّهِ فَحُسِبَ لَهُ بَرًّا. مَرَّةً أُخْرَى، تَرَى مَفْهُومَ الْحُسْبَانِ أَوْ الْاِحْتِسَابِ أَيَّ أَنَّ اللَّهَ يُحْتَسَبُ

إِبْرَاهِيمَ الْآنَ مُبَرَّرًا فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي وَضَعَ فِيهَا إِيمَانَهُ وَثَقَّتَهُ بِاللَّهِ قَبْلَ أَنْ يُخْتَنَ، وَقَبْلَ أَنْ يُقَدَّمَ إِسْحَاقَ عَلَى الْمَذْبُوحِ، قَبْلَ حُدُوثِ أَيِّ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ. فَأَعْلِنَ بَارًّا بِالْإِيمَانِ الَّذِي وَهَبَ لَهُ.

لاحظوا مرةً أُخْرَى أَنَّ الرِّابِطَ هُوَ النِّعْمَةُ. لِهَذَا فِي التَّقْلِيدِ الْمُصْلِحِ تَرْتَبِطُ عِبَارَةُ بِالْإِيمَانِ وَحْدَهُ "سُولا فيدي" اِزْتِبَاطًا وَثِيقًا بِعِبَارَةِ بِالنِّعْمَةِ وَحْدَهَا "سُولا جراتيا". إِنَّ التَّبْرِيرَ الَّذِي نَتَّالُهُ هُوَ بِالنِّعْمَةِ بِكُلِّ وُضُوحٍ، ثُمَّ يَفْتَبِسُ بُولُسُ مِنْ دَاوُدَ إِذْ يَقُولُ: "طُوبَى لِلَّذِينَ غُفِرَتْ آثَامُهُمْ وَسُتِرَتْ خَطَايَاهُمْ. طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَا يَحْسِبُ لَهُ الرَّبُّ خَطِيئَةً". لِذَلِكَ لَا يَحْتَسِبُ اللَّهُ خَطَايَانَا إِلَيْنَا نَحْنُ الَّذِينَ نَسْتَحِقُّ هَذِهِ الْخَطَايَا. بَلْ يَحْتَسِبُهَا عَلَى الرَّبِّ يَسُوعَ، وَتَتَجَلَّى عَمَلِيَّةُ التَّبْرِيرِ بِرُمَّتِهَا هُنَا مِنَ الْأَصْحَاحِ الثَّلَاثِ مِنْ سِفْرِ التَّكْوِينِ عِبْرَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ بِأَكْمَلِهِ بِمَفْهُومِ سِتْرِ الْخَطِيئَةِ. تَتَدَكَّرُونَ أَنَّ الْمِثَالَ الْأَوَّلَ لِرَحْمَةِ اللَّهِ عَلَى آدَمَ وَحَوَاءَ السَّاقِطِينَ عِنْدَمَا هَرَبَا مِنْ مَحْضَرِهِ، سَعِيًّا لِالِاخْتِبَاءِ مِنْهُ، فَقَدْ خَجَلَا لِأَنَّهُمَا أَدْرَكَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ، فَمَاذَا فَعَلَ اللَّهُ؟ تَحْتَنُّ عَلَيْهِمَا وَصَنَعَ لَهُمَا مَلَاسٍ لِيُعْطِيَهُمَا وَيَسْتُرَ عَارَهُمَا. وَتَسْتَمِرُّ الرَّمْزِيَّةُ ذَاتُهَا، كَمَا ذَكَرْتُ قَبْلَ قَلِيلٍ، فِي يَوْمِ الْكُفَّارَةِ عِنْدَمَا يُعْطَى الدَّمُ غِطَاءً تَابُوتِ الْعَهْدِ. وَالصُّورَةُ مَرَّةً أُخْرَى هِيَ أَنَّنَا وَهَبْنَا رِدَاءً أَوْ لِيَّاسَ بَرِّ الْمَسِيحِ لِنَسْتُرَ عُرْيَانًا أَوْ لِنَسْتُرَ رِدَاءَنَا الْقَدِيرَ كَيْ يَكُونَ الْبِرُّ الْوَحِيدَ الَّذِي لَنَا لِلْوُقُوفِ أَمَامَ اللَّهِ. الْبِرُّ الْوَحِيدَ الَّذِي نَحْتَاجُهُ، هُوَ بَرُّ رَبَّنَا يَسُوعَ.

فِي مُحَاضَرَتِنَا التَّالِيَةِ، مَا أُرِيدُ فِعْلُهُ هُوَ قِضَاءُ بَعْضِ الْوَقْتِ فِي الْحَدِيثِ عَنِ نَتِيجَةِ أَوْ تَوَابِعِ التَّبْرِيرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْنَا، ثُمَّ سَنَنْظُرُ فِي الْعِلَاقَةِ بَيْنَ مَا يُعَلِّمُهُ بُولُسُ عَنِ التَّبْرِيرِ بِالْإِيمَانِ بِدُونِ الْأَعْمَالِ وَتَعْلِيمِ يَعْقُوبَ إِذْ يَبْدُو أَنَّهُ يَتَعَارَضُ مَعَ مَا يُعَلِّمُهُ بُولُسُ هُنَا فِي رُومِيَّةٍ. لَكِنَّا سَنَبْدَأُ بِالنَّظَرِ فِي تَبِعَاتِ التَّبْرِيرِ وَنَتَأَمَّنُ فِي مُحَاضَرَتِنَا التَّالِيَةِ.

الدُّكْتُورُ أَرْ. سِي. سَبْرُولُ هُوَ مُؤَسَّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ لِيْجُونِيَرِ، وَكَانَ أَحَدَ رُعَاةِ كَنِيسَةِ الْقَدِيسِ أَنْدْرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسِ لِكَلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلِاصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ مُؤَلِّفٌ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كَلْنَا لَاهَوْتِيُونَ" و"أَدَهَشَنِي الْأَلَمُ".